

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

بنلم عند خاطر

الشربمان

جَمَعَتِ الاساطير والامثال اللبنانية بين شهري تشرين كما جَمَعَتِ بين شهري كانون ، لذلك آوَتْ الكلام عن التشرينين في فصل واحد ، كما تكلمت عن الكانونين :

تشرين من «تشرينو» الكلدانية التي معناها «الابتداء» ، سمي بها تشرين الاول بدايةً ، لانه كان مطلع السنة او ابتداءها . يقابل تشرين الاول من الاشهر الافرنجية « اكتوبر » . كان الرومان يحتفلون فيه بعيد آلهة الحور والحقول والرعاة لانه الزمن الذي يتم فيه استخراج الحمر وتُسَمَّن الماشية ويباشر لقاء الزرع في الارض ، وكان يرمز اليه بحوررة صياد عند قدميه ارنب ورفوق رأسه عصفير ، والى جانبه دن خر ، اشارة الى ما يتم فيه من الصيد وتطف العنب وصنع الحور .

اما تشرين الثاني فيقابله من الاشهر الافرنجية «نومبر» ، فيه تدخل الشمس برج «الرامي» وهو متوسط الحريف وينسب الانكليز شهر الرياح ، وكان الرومان يدعونه شهر - بداية الشتاء ، وقد خصوه بعبودتهم «ديانا» ومثله بيعة كاهن للاله ايزيس

.....

وفي لبنان تتدرج الطبيعة في هذين الشهرين من الصيف الى الشتاء ، فتبدأ رويداً رويداً بجلع محاسن الصيف وبهارجته والظهور باكفهرارها الباءث على الانتقاض والوحشة ، وكلما مضى منها يوم قرب الشتاء والطقس البارد ، ويشتد البرد عادةً في طرفي النهار والناس لم يتعودوه بعد فينالهم منه ضرر ، لذلك قالوا : « برد التشارين ، يهر المصارين »

وقد تكثر بسبب هذا البرد التزلات الوافدة والزكلمات والالتهابات الصدرية مما يوجب الانتباه والتوقي ، وقد قالت العامة في ذلك : « برد التشارين توقاه ، وبرد الربيع تلقاه »

وفي المناطق العالية يبقى من الفلال والثار ما يستغل في التشرينين ولاسيما المنب الزحلاوي ، ويقال في تلك الانحاء : « في تشرين ، ودع المنب والتين » . ولكن الوسائط التي اخذوا اليوم يستعملونها لحفظ المنب من اضرار المطر والبرد قد بقيه الى شهري كانون .

وقد يحدث في التشرينين ، رغم ما قدمناه عن تقاص ظل الصيف وظهور الشيب في هام الطبيعة ، ان يطول الصحر وتوالي الايام الجميلة حتى لقد يظن المرء نفسه في صيف جديد ، وقد قالوا في ذلك : « ما بين تشرين وتشرين صيف ثان »

وفي التشرينين تشع الينابيع والانهار اطول عهد الصحر حتى تكاد تنضب ولكن الماء يطيب لما يمازجه من برودة ، وقد امرىوا عن ذلك بقولهم : « اللي ما شبع من المنب والتين ، يشبع من ماء التشارين »

ويواصل الفلاحون البنانيون من مطلع تشرين الاول استعداداتهم التي يكونون بدأوا بها من ايلول مباشرة الحراثة فيجددون سككهم ومعارهم ويعدون الانبار والمعاريث والبذار من مختلف الحبوب والطف لماشيهم وغير ذلك من المعدات التي يحتاجون اليها في مهامهم الزراعية ، ويستدأرون على قرب وقوع الشتاء وارتواء الارض بظهور زهرة بيضاء جميلة المنظر سريرة الذبول تظهر عادة في تشرين الاول تسمى باصطلاحهم « الوحواح » فاذا رأوها هتفوا قائلين : « هي بركك يا فلاح ، طلع الوحواح » ، وفي التشرينين « يشتلون » التين بعد انتزاع ورقه وحفظه علفاً للماشية ويقولون في ذلك : « شحالة التين ، في التشارين » .

وفي تشرين الثاني تموت المواتم والحشرات وتختفي الدبابات والزحافات والافاعي لقرب هجوم المطر ، ويقولون في ذلك : « جاء تشرين الثاني ، وما عدنا نشرف لاحية ولا برغشة ولا دبانة »

وفي آخر تشرين الثاني تقصر الايام قسراً عظيماً ، وفيها يستقطر الزيت ، ويسميا اللبنانيون : « نهارات الزيت ، اصبحت اسميت » ويقولون ايضاً : « بنهارات الزيت ، بالكاد المرأة الشاطرة تطبخ وتكنس البيت » اي ان هذه النهارات تمرّ سراعاً فلا يكاد الصبح يطلع حتى يهجم الماء .

ولهم في استخراج الزيت عبارات اصطلاحية تدلهم على الطريقة الفضلى فيه ، من هذه العبارات قولهم : « ن عنن زيتونك في بيتك ، حدخد زيتك » اي صار طعمه حريفاً

ومنها : « حوش ورض ، مشق وسبح » ومعناه : « الزيتون المقطوف باليد اصاحه مسبحاً » اي معقاً بالماء والملح ، والمنتثر تحت الاشجار استعمله « مرصوصاً » .

ومنها : « مسبح السقي ، ومرصوص البعل » ومعناه : الزيتون البعل اصلح « للرض » والزيتون السقي اصلح « للتسبيح »

ولهم ايضاً عبارات مثل هذه يرددونها في استقطار العرق ، منها قولهم : « كلما زاد حلو عنبك ، زاد قطر خورك » و« كلما حلت الثمرة ، طابت الحفرة » اي ان العنب الناضج اصلح للخمر من غير الناضج وانقرز عائدة .

ومنها : « متى صرت تشوف وجهك بالدغار قيم على النار » اي اترك العنب المتقوع للعرق ريثما يصفو كالثرة ثم اقله الى الانبيق واستخرجه ومنها : « نار العرق لهبة سراج ، وحاج » اي استقطر العرق على نار خفيفة كضوء السراج .

ويتخوفون من المرض في اثشرينين لان الاجسام تقبل بدمها على ايام البعد فلا تستمد عافيتها بسهولة ، ويقولون : « اذا مرضت في تشرين ، لا تشفى حتى تجري الدموية ، في الربيعية » .

وفي اواخر تشرين الاول تصاد السمانى وانواع الصافير والطيور والصيدون في لبنان قسماً :

الاولون الفواة او الهواة الذين يقدمون على الصيد اجابة ليل. مركب فيهم يجدون باتباعه مسرة ولذة ، والآخرون يتبعون ذلك قصد الربح من بيع ما يصطادون ، وهذا لا ينفي ان يكونوا من الفواة الهواة ايضاً ولكن اهل

البلاد تعودوا المزمع من اتخذ الصيد مهنة للتميش لانهم وجدوها من المهن القليلة الربح ، وقد قالوا في ذلك : «قطاع الميـش ، ونـتـافـ الرـيش» لا يـجـد امرهما ولا ينجحان ، ويريدون بقطاع الميـش الحطاب ، والحطاب عادة يكون كالصياد كثيراً صلوا كما كُتبت في وجه ابواب الرزق فاضطر الى الالتجاء الى هذه المهنة التي لا تسد رمقاً رغم ما تقتضيه من الاتطاب والجري في البراري.

وللبنانيين روايات يتسامرون بها عن الحطابين منها الرواية التالية :

قيل ان حطاباً كان يجمع حطباً ذات يوم فرأه امير كاند يتصيد واذ رأى ما يكابده من العناء في هنته رق له وسأله عن مقدار ربحه كل يوم قال : اطال الله بقا- سيدي الامير ، اتي اربح كل يوم من عملي ما لا اعيش بقم منه ، واني بقم آخر بعض ديني ، وادين منه القم الثالث ، والقم الرابع ارميه في البحر . فتعجب الامير من جوابه وسأله ايضاح ذلك . قال الحطاب : اعلم ايها الامير اني اربح كل يوم اربعة غروش ، اعيش بواحد منها وانفق واحداً على والدي وفاق ، لما انا مدين به اليها من حق الترية ، وواحداً على اولادي الذكور فادينهم اياه على امل استيفائه منهم متى كبروا وعجزت ، وواحداً على اولادي الاناث وهو الذي قلت اني ارميه في البحر لاني لت اعلم ماذا سيكون من امر بناتي هولاء . بعد زواجهن وهل يكن بارات لي فيفيني ديني ام لا . فأعجب الامير بجواب هذا الحطاب الذكي واجازه .

وفي اول مطرة من تشرين تروى الارض فيظهر البزاق ويسميه اللبنانيون «المريينات» او «البرينات» واحدها مرينة ، ويدور اولادهم في البراري يجمعونها وهم ينشدون : «يا مرينة يا مرون ، اطلمي لي باربع قرون ، باعت السلطان يقول بده مرينة زغيره ، قد راس السلطون .»

والبنانيون لا يأكلون جميعاً البزاق ، فان فريقاً منهم يعافه ويتقزز منه ، وآخر يستطيع ويستمرئه ولا سيما على موائد الشراب ، ومنهم من يمتن التقاطه وعرضه للبيع في اسواق المدن فيصيب منه ربحاً .